الإيمان بالله

وبراهينه العقلية والسمعية

بقلم

فضيلة الشيخ/ حمود عبد الله الشعيبي

مقـــدمة

الحمد لله الذى أوجد الكائنات من العدم واختص بصفة الأزلية والقدم، أوجب لنفسه صفات الكمال وتنزه عن الأشباه والأنداد والأمثال، أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا اله الا الله وحده، لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعـــد

فقد دفعنى إلى كتابة هذا البحث ما أراه منتشرا فى بعض مجتمعات المسلمين وخاصة بين بعض فئات الشباب الذين أخذتهم مظاهر العصر والذين لم يكن لهم حظ من العلم والمعرفة يتقـون به آثار تلك المظاهر الزائفة ويتسلحون به ضد الشبهات والدعايات المضللة التى ما فتئ أعداء الاسلام من ملاحده وجوديين وغيرهم يروجونها ويضللون عقول كثيرين بها، الأمر الذى يجرهم الى التشكيك في عقيدتهم وقبول ما يرد من اعداء الاسلام اليهم من دعايات مضللة وشبهات مصطنعة بقصد احداث البلبلة والتشكيك بين صفوف الشباب ليسهل عليهم بذلك صرفهم عن دينهم وتغيير فطرتهم التي فطرهم الله عليها من معرفته والايمان بوحدانيته، وهذا الدور الذى يقوم به هؤلاء خطير جدا على النشئ حيث تجمعهم بهم عدة عوامل من حيث اللغة والجنس والوطن وغير ذلك من الأشياء التي هي سبب مباشر في استمالة النشئ والتأثير عليه .

وقد قصرت هذا البحث على حتمية الايمان بالله واليوم الآخر معتمدا في ذلك على البراهين القطعية الثابتة من الكتاب والسنة والفطرة والعقل.

ويلاحظ القارئ أننى ركزت جانبا مهما من هذا البحث على الأدلة العقلية والعلمية التجريبية حيث أن الشبه الرائجة في هذا العصر مصدرها فئات لا يسلمـون للأدلة السمعية لذلك أردت أن يكون جانبا من الرد عليهم بالعقل والمنطق .

فبدأت أولا بذكر الدليل الفطرى واوضحت فيه ان كل انسان عاقل يشعر ضرورة في قرارة نفسه بمقتضى فطرته ان له رباً خالقاً مدبراً له فى جميع شؤونه ولا يشذ عاقل عن هذه القاعدة الا من فسدت فطرته بمرض الكبر والعناد وغير ذلك من الأمراض التى تطرأ على فطرة الانسان فتغيرها عن اتجاهها الصحيح.

ثم انتقلت إلى الاستدلال على وجود البارى سبحانه وتعالى وأزليته بالنظر فى مخلوقاته وما أودعه في هذا الكون الفسيح من عجيب الصنع وبديع الأحكام والدقة فى التنظيم. الأمر الذى يمنع صدور مثل هذا عن غير فاعل مريد.

وبعد ذلك أقمت الدليل العلمي التجريبي الذى أدى بكثير من العلماء غير المسلمين إلى الاعتراف بوجوده سبحانه وتعالى وأزليته ... سأتبعه إن شاء الله ببحث عن اليوم الآخر مقيما البرهان على ثبوته مبيناً منهج القرآن العزيز فى الاستدلال على حتمية البعث ، وقد جاء بطرق متعددة كل واحدة منها تؤكد حتمية بعث الأبدان وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين..

هذا وأسأل الله ان ينفع بهذا البحث تلك الفئات التي حادت عن الطريق السوى.

الأيمان بالله:

الاقرار بوجود الخالق سبحانه وتعالى والشعور بعظمته وقهره أمر فطرى يجده ويشعر به كل انسان في قرارة نفسه من غير أن يحتاج الى برهان نظرى أو تجربة علمية ويشترك في هذا الشعور وهذا الاعتقاد الفطرى كل انسان مهما كانت منزلته من الفهم الادراك أو الجهل والغباء اى ان الانسان العاقل سواء كان عالما أم جاهلا فانه يدرك بالضرورة ان له ربا خالقا قاهرا مسيطرا عليه مدبرا لشئونه.

ان الانسان ليشعر بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون تمنحه التدبير والتنظيم وتتصرف فيه بالحياة والموت والبقاء والفناء والتغير والتطور والحركة والسكون وجميع انواع التغييرات الحكيمة التي تجرى فيه.

انه ليشعر بهذه الحقيقة ويؤمن بها ايمانا عميقا، سواء استطاع ان يقيم الدليل البرهانى على صدق هذا الشعور أو لم يستطع، فدليل الفطرة ودليل البداهة شاهد حق يسبق الشواهد النظرية وقد يكون أدق منها وأصدق، وحسب الانسان فى ايمانه واعتقاده بشيء ما ان يوافق شعوره الفطرى واحساسه البديهي، النتائج النظرية التى يتوصل اليها الباحثون من علماء وفلاسفة، أو أن يتفق شعوره واحساسه مع الشعور والاحساس الصادق للكثرة الكاثرة من المجموعة الانسانية.

بل ربما يقال: ان سلامة الفطرة وصفاء الاحساس الخفي من أهم الوسائل الاساسية فى شعور الانسان بكثير من البديهيات واكتسابه كثيرا من المعارف الحقة التي يعرفها الانسان فى أطوار حياته.

المصدر ٢ ـ العقيدة الاسلامية واسسها ص ٩١ جـ ١ الشيخ عبدالرحمن حنبكه الميداني .

ان كثيرا من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل في انفسنا غير شعورنا الفطرى بها، ومهما تقدمت العلوم والمكتشفات فانها لا تزيدنا عنها شيئا غير ما توصلنا اليه بفطرتنا.

ان هذه الفطرة وهذا الشعور الذى يشترك فيه جميع الناس في جميع المجتمعات والعصور على اختلاف اجناسهم وتفاوت ثقافاتهم وافكارهم لبرهان كاف في القطع بوجود البارى عز وجل من غير حاجة الى برهان علمي تجريبي أو دليل نظرى ولا يشك في صحته الا من فسدت فطرته بمرض الكبرياء والعناد أو الشهوات النفسانية أو الشكوك المادية التي كونت حجابا كثيفا على بصائر هؤلاء المنحرفين عن الفطرة السليمة.

اثبات وجود الخالق عن طريق التأمل في مخلوقاته:

اننا اذ انتقلنا من الدليل الفطرى على وجود الخالق العظيم الى الأدلة النظرية وتأملنا هذا الكون الواسع الفسيح ، وما أودع فيه من بديع الصنع وعجيب الاتقان الذى لا يصدر الاّ عن فاعل مختار.

اننا اذا تأملنا العالم العلوى بما فيه من سماوات وافلاك وكواكب وشمس وقمر .. ونظرنا في العالم السفلي بما فيه من جبال وانهار وبحار وحيوان ونبات.. حصل لنا القطع بوجود الخالق، بل إن نفس الانسان فيها من الشواهد والادلة ما يفيد القطع بوجود الصانع، فان جسم الانسان يشتمل على كثير من الاجهزة التي بلغت في الدقة والتعقيد درجة حيرت عقول الاطباء والفلاسفة وغيرهم كجهاز التنفس وجهاز الدورة الدموية وجهاز الهضم وغيرها من الاجهزة الدقيقة التى حير العلماء قرون عديدة كشف اسرارها .. بل ان غير الانسان من الحيوانات الكثيرة التي نعلمها والتي لا نعلمها يشارك الانسان في دقة الصنع وغرابة التكوين.

فانظر اذن كم عدد افراد الانسان في جميع البلدان وفي جميع الاعصار.

وكم عدد الحيوانات كذلك، والى هذه النشأة البديعه العجيبه نشأة الانسان والحيوان والنبات من المادة الميتة التى لا حياة فيها ولا شعور.

يشير الكتاب الكريم بقوله تعالى (سورة الانعام)

(يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ)

ان اى عاقل نظر في هذا العالم علويه وسفليه ، حيوانه وجماده وما اودع فيه من عجائب المخلوقات وغرائب الصنع وما يسير عليه من نظام متقن بديع لا تفاوت فيه ولا اضطراب يدرك ضرورة ان مثل هذا لا يصدر الاّ عن مدبر حكيم.

(المصدر) الاشارات والتنبيهات لابن سيناء جلد ١ ص ٦٧ ـ .

وهذا المنهج منهج النظر في الاء الله ومخلوقاته هو الذى نهجه القرآن العزيز في لفت نظر الخلق الى الاعتراف بالله والاقرار بوجوده وتدبيره وربوبيته

قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ...) سورة فصلت . آية رقم (٥٣)

وقال الله تعالى : (وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾) الذاريات. رقم (٢٠) (٢١)

وكقوله تعالى : (إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾)

سورة البقرة آية رقم (١٦٤)

آيات عظيمة وبراهين قاطعة ، سماء واسعة عالية بلا عمد وشمس تشرق ويأتى النهار وتغرب فيأتى الليل قمر وكواكب ، وليل ونهار متعاقبان يأتى الليل فيغطى العالم بظلامه ينقطع فيه الخلق الى نومهم وراحتهم، ويعقبه النهار فيخرجون فيه الى معاشهم وحروثهم وتجاراتهم وصناعاتهم وغيرها..

بِحار تضطرب امواجها وتعلو متونها السفن وتنقل المسافرين من بلد الى بلد ومن اقليم إلى اقليم.

سحب تتكاثف وامطار تنزل.. كل هذه آيات وشواهد ناطقة بوجود الخالق المدبر العظيم.

هل يتصور عاقل ان تتم هذه الأمور صدفة من غير فاعل مريد وقد ضرب ابن القيم رحمه الله في كتابه «مفتاح دار السعادة» الجزء الأول ص ٢١٤ مثالا أوضح فيه استحالة صدور الكون عن غير مدبر حكيم فقال:

«فاسأل المعطل الجاحد ما تقول فى دولاب دائر على نهر قد احكمت آلاته واحكم تركيبه وقدرت ادواته احسن تقدير وابلغه بحيث لا يرى الناظر فيه خللا في مادته ولا في صورته ، وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل انواع الثمار والزروع يسقيها حاجتها وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع مصالحها فلا يختل منه شئ ولا يتلف ثمارها ثم يقسم غلتها عند الجذاذ على سائر المخارج بحسب حاجاتهم وضروراتهم، فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به ويقسم هكذا على الدوام. أترى هذا اتفاقا بلا صانع ولا مختار ولا مدبر ؟ بل اتفق وجود ذلك الدولاب وتلك الحديقه وكل ذلك اتفاقا من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر ؟

أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان ؟ وما الذى يفتيك به ؟ وما الذى يرشدك اليه ؟

يشير رحمه الله في هذا المثال الى ان هذه الجزئية الصغيرة من جزئيات الكون الكثيرة لا يصح في عقل انسان ان يكون هذا المثال صدر عن غير فاعل مدبر.. فمن باب أولى الا يصدر هذا الكون الكبير عن غير فاعل وصانع حكيم عليم يفعل بمشيئته وارادته.

اثبات وجود الخالق بالأدلة العقلية والبراهين العلمية التجريبية

ان كثيرين من مرضى العقول ممن فسدت فطرهم وانحرفت افكارهم واستولت عليهم الشبه والشكوك ينكرون وجود الصانع ولا يعترفون بشئ سوى هذا العالم المادى المشاهد ويدعون ان كل شئ في هذا الكون صدر عن: اما الطبيعة او الصدفة او المادة أصنام ثلاثة يعللون بها باطلهم ويموهون بها على السذج من الناس من امثالهم.. وسوف ترى ان هذه الشبه الثلاث التي طالما تغنى بها الملاحدة أوهام ما هى الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا.

عجز الطبيعة عن الابداع والخلق

مما لا شك فيه حتى عند أصحاب الطبيعة ان الطبيعة ميتة لا حياة فيها ولا شعور لها ولا ادراك ولا عقل ولا ارادة .. ومن هذا شأنه فلا يقدر على خلق ذرة أو ايجاد حبة فضلا عن خلق هذا الكون العظيم بما فيه من تنظيم واحكام وتدبير واتقان وحياة ونمو، فكيف يتصور عاقل يعي ما يقول ان الطبيعة الفاقدة للحياة والشعور والادراك تمنح غيرها الحياة والشعور والادراك .. وكيف يفسر عاقل ما يحدث في هذا الكون من اختلاف وتغير بين انواع جزئياته عن محدث لا يملك الاراده ؟

هذا امر يستحيل تصوره في بديهة كل انسان

ان القول بأن الطبيعة تخلق شبهة مصطنعه من شبهات العصر وضلالة مبتدعة من ضلالاته وهي مع هذا لا تعدو كونها وهما لا حقيقة له ولا وجود ولا يستند إلى أصل صحيح.. ولكنها مع اصطناعها هذا وكونها وهما نجدها مسيطرة على عقول كثير ممن يدعون الثقافة والمعرفة، وقد انطلت عليهم دون أن يكلفوا انفسهم عناء البحث والتمحيص.

انك حينما تبادر احد الطبيعيين بالقول: من خلق السموات والأرض ؟ يقول لك: الطبيعة. ومن خلق النبات والحيوان ؟ يقول لك: الطبيعة.. ومن خلق الانسان ؟ يقول لك الطبيعة.

ومن يدبر جميع هذه الامور الفلكية والحيوية والغريزية وكل حساب دقيق ونظام لا يحيد ؟ فسيقول لك: الطبيعة.

اذن: فما هي الطبيعة ؟ وما هي مفاهيمها ؟ وما هي حقيقة تأثيرها ؟

الطبيعة فى اللغة: السجية والخلق. غير أن للطبيعة اليوم فى عقول الناس حسب تفاوتهم (مفهومان).

المفهوم الأول :

انهـــا عبارة عن الاشياء بذاتها، فالجماد والنبـات والحيوان، كل هذه الكائنـات هي الطبيعة. وهو مفهوم غير دقيق. وحكم غير سديد كما سنبين لك في فصل لاحق.

المفهوم الثانى :

انها عبارة عن صفات الاشياء وخصائصها ، فهذه الصفات من حراره وبرودة ورطوبة ويبوسة وملاسة وخشونة. وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو واغتذاء وتزواج وتوالد ، كل هذه الصفات والقابليات هي الطبيعة.

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة بالنسبة لخلق الوجود عن تفسير الماء بالماء.

فالأرض خلقت الأرض والسماء خلقت السماء والاصنـاف صنفـت نفسهـا والأشياء اوجدت ذاتها . فهى الحادث والمحدث، وهي المخلوق والخالق في الوقت ذاته وهذا القول بينّ البطلان.

أمال القول الثانى وهو الاعتماد على قابليات الأشياء وخصائصها في التكوين فنقول فيه :

الحقيقة ان الذين يعزون الخلق الى تلك القابلياتّ والخصائص لا يعـدون كونهم وصافين لتلك الظواهر ولا يعرفون كنهها ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث عن حقيقتها ، ولو فعلوا ذلك لوجدوا ان القابلية التي اعتمدوا عليها في خلق الشيء سراب خادع يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ولأيضاح ذلك بالطريق العلمي نضرب المثال التالي:

نضع حبة فى التراب ونسقيها بالماء فتنتفخ وتنفلق فيظهر منها الرشيم ويندفع فيها الجذر

الى اسفل والساق الى اعلى وتنشأ الأوراق فالازهار فالثمار وتكون الحبة قد انتجت تفاحة مثلا فالقابلية التي كانت في الحبة هي:

الانتفاخ والانفلاق وظهور الرشيم ولولا هذه القابليات المتوالية لما ظهرت تلك الظواهر الحيوية ولما نشأت عنها الثمرة، فلنأت الى هذه القابلية بالذات نبحث عن حقيقتها.

لو لم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء فمن الذى نفخها وفلقها ؟ لو كان للحبة عقل وتفكير وتدبير لقلنا ان عقلها هو الذى هيأ لها ذلك ولو ان الماء هو الذى نفخها وخلقها لامكن للماء ان ينفخ في الحديد ويفلقه، اذن فلابد من مؤثر، وقبول لتأثير ذلك المؤثر، واذا كانت الحبة بذاتها جدلا انتفخت وانفلقت فلماذا لم تجمد وتضمر بدل ان تنتفخ وتنمو ؟ ولكي يحصل التكاثر والبقاء يحتاج الامر الى عقل وادراك ومنهج مرسوم من قبل تلك البذرة . والبذرة لا تملك شيئا من ذلك فكيف حصلت اذن ثمرة بعينها ؟ بل كيف حصلت ثمار كثيرة ؟ ومتنوعة ؟ وكيف كمنت الغاية المعينة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها ؟

والحقيقة ان من انعم النظر في تعبير الطبيعيين المستندين الى القابلية حينما يقولون طبع النبات على ذلك انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا تميل الخلية الحية الى الانقسام انها افعال مبنية للمجهول لجهلهم أو تجاهلهم الفاعل الحقيقي فكأن الطبيعي اغمض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصا فمن الذى نفخ الحبة ؟ ومن الذى فلقها ؟ ومن الذى ادى الى التوالد ؟ ومن الذى جبل الخليه على الانقسام ؟ ومن الذى جعلها تنتفخ بدلا من ان تضمر؟ كل هذا التحقيق لا تصل اليه نظرة الطبيعيين القصيرة بل المقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب الى اسبابها بل المخطئة في جعل الصفة المنفصلة سببا فاعلا والقابلية مؤثرا والظاهرة المجهولة عاملا مكونا فالانتفاخ صفة نشأت عن المؤثر الخارجى عن الشيء وعن قبول اثره في ذلك الشيء والانفلاق صفه.. الخ.

وما زاد الطبيعي على ان جعل من مجموع هذه الصفات مفهوما مركبا سماه «قابلية التوالد والنمو» فجعل من القابليات التي هي عرض من اعراض الشيء سببا في الخلق ومن الصفة

الانفعالية التي لا تعي ولا تدرك سببا فاعلا واعيا في تكوين الاشياء .. اذن فمن الذى ركز الطبيعة في العناصر ومن الذى نوع تلك الطبائع ؟

الصـدفة لا تخلق

وبعد أن هوى الصنم الأول (الطبيعة) وتحطم على صخرة الحقيقة وبعد أن احتـرق الحجاب الكثيف الذى نسجه الملاحدة الدهريون من الدعاية والاباطيل حول الطبيعـة بشهب اليقين فاننا نعرض لصنم اخر هو الصدفة اى دعوى الملاحدة بان هذا العالم حدث صدفة لم يكن له فاعل مريد وحيث أن هذه الدعوى وهم وخيال رسخت في اذهان الملحدين فسوف نشرحها لك بايجاز لنبين بطلانها بطريقة لا تدع للشك مجالا في انها كذب وافتراء.

انهم يقولون صحيح ان الكون المادى لم يكن موجودا فى صورة نجوم وكواكب وسيارات كالتى نشاهدها فتلك حادثة قطعا لكن شيئا ما يمكن اعتباره اساسا للمادة كان موجودا قبلها فحدث شيء ما فجأة لسبب مجهول فأدت الصدفة البحتـة الى نوع من الاضطـراب في الأساس الذى فنشأت عنه مادة الكون الحالية منشأت عن ذلك الاضطراب ظروف مواتية ادت الى تخليق الكواكب والسيارات في مجموعات كبيرة ما لبث ان انفصل بعضها عن بعض بقوة دفع الاضطراب المتتابع الاثر ثم تكونت الأرض واخذت العناصر تتجمع على سطحها وتختلط حتى حدث بطريق المصادفة البحتة ان اجتمعت عناصر معينـة وتفاعلـت بمحض الصدفة فصادف تجمعها ظروف ملائمة لنشأة الحياة على الأرض فانبعثت من هذه الظروف نواة الحياة الأولى التي نمت وتفرغت وتصورت تلقائيا حتى وصلـت إلى النبـات والحيوان والانسان فتأثرت في ذلك كله بعوامل البيئة المادية وتطور الاجناس الطبيعى.

هذا هو ملخص دعوى الماديين في أصل الكون ونشأة الحياة ، فما نصيب هذه الدعوى من التفكير العلمـى الصحيح بحق ؟

المرجع : البراهين العلمية على وجود الخالق من ص ٤٢ الى ص ٤٦ ـ محمد فؤاد البرازى).

ان دعوى صدورهذا الكون عن طريق الصدفة المحضة دعوى باطله لا تقوم على أصل صحيح ولا تستند الى اصل ثابت لقد اثبت العلماء الرياضيون عن طريق القوانين الرياضية أن صدور الكون عن طريق المصادفة المحضة أمر مستحيل التصور فقد وضعوا قانونا يضبط نسبة الامكان والاحتمال في كل قول بالمصادفة وهو يقوم على جمع احصائي لكل ما يتضمنه القول. ثم تطبيق قواعد رياضية علمية ينتج عنها تحديد كامل لشروط الامكان الصحيح في القول المفترض وعلى سبيل المثال فان العلماء الرياضيين قاسوا قدر الامكان والاحتمال فى القول المادى السابق بنشأة نواة الحياة الأولى بمحض تجمع عناصر معينة بطريق المصادفة البحتة دون تدبير قاصد فانتهوا من ذلك الى الاستحالة ان يكون الأمر قد حدث على هذا النحو لانهم جمعوا عناصر المادة وكميتها وتنوعها فوجدوا ان قدر المادة الموجودة في الكون لا يكفى رياضيا لنشأة نواة الحياة، ومن ثم توصلوا الى أنه لابد من وجود ارادة قاصدة عالمه وراء بدء الخلق ومشأة الحياة فيه.

ان دعوى الملحدين بأن حدوث العالم حصل صدفه بلا فاعل مريد دعوى كاذبة ينقضها الاحكام والاتقان المشاهد في جميع افراد الكون وجزئياته التي اذا تأملها العاقل بانصاف وتجرد ادرك يقينا ان مثل هذا لا يحدث الاّ عن ارادة صادرة من مريد حكيم عالم يضع الاشياء في مواضعها اللائقة بها ولقد اكثر العلماء من ذكر الأمثلة التي يثبت بها بطلان شبهه المصادفة فمن ذلك نسبة الذكور الى الاناث في كل مجتمع ففي كل مجتمع يوجد الاعزب من الرجال والعزبة من النساء كما يوجد المتزوجون الذين تختلف حالاتهم من حيث الانجاب بين العقم او انجاب الذكور وحدهم او انجاب الاناث وحدهن او انجاب الذكور والاناث فعندنا اذن خمس حالات فردية في كل مجتمع صغير أو كبير لكن حصيلة الأمر دائما في كل مجتمع هو التناسب بين مجموع عدد الذكور من كل الأعمار ومجموع عدد الاناث من كل الأعمار(٤٩ ـ ٥١ أو ٤٩ ـ ٥٠ أو ٤٨ ـ ٥١ أو٥٢ ـ ٤٨) ولم يختل هذا التناسب في اى مجتمع بشرى اختلالا كبيرا الا بسبب ظروف طارئة مثل الحرب الكبيرة التى تأكل

المرجع / تناقض المذاهب المادية فيا يتصل بقضية الالوهية ص ٣٣
للدكتور محمد بلتاجى .

الرجال فتزيد نسبة النساء ونحو ذلك ومع هذا فقد لوحظ بمزيد من الدهشة ان آثار هذه الظروف الطارئة لا تستمر طويلا حيث لوحظ انه فى اعقاب الحرب الكبيرة تزيد نسبة المواليد من الذكور حتى يرجع التناسب تدريجيا. ما الذى يدل عليه هذا التناسب العجيب الذى يسود الاجناس البشرية كلها في كل مكان وزمان ؟ أن يقطع بأن هناك نظاما كونيا يتمثل في سنة عامه قاصدة هيمنت على البشرية.. فهل يمكن أن يكون هذا النظام المحكم ذو الغايات المقصودة قد صدر عن محض الصدفة البحتة التى لا قصد فيها ولا ارادة.

اعتقد ان التفكير السليم يقضيء باستحالة ذلك.

ومثال آخر يذكره العلماء عند نقض شبهة دعوى المصادفة: وهو أن نسأل هؤلاء هذا السؤال:

هل لو وضعنا في علبة من الخشب مثلا مجموعة كبيرة من الحروف المعدنية التي تستعمل في الطباعة تكفي لتكوين فقرة تامة من الكلام المحكم الرصين، تصور حادثة وقعت تصويراً صحيحاً وضعا مشوشا غير مرتب ثم هززنا العلبة هزا قويا يحرك جميع ما فيها من حروف وهي محكمة الغلق ثم فتحنا العلبة ايمكن أن تتضام الحروف المناسبة بعضها إلى بعض حتى تكون كلمات من الكلمات المناسبة بعضها إلى بعض حتى تكون جملا صحيحة ثم الجمل بعضها إلى بعض حتى تكون الفقرة المطلوبة، هل يجوز ذلك فاذا جوزوا حدوثه مرة هل يجوز حدوثه ثانية وإذا جوزوا حدوثه ثانية هل يجوز حدوثه ثالثة ورابعة وخامسة ومئات وآلاف وملايين المرات بحيث تصبح المصادفة البحتة تكفى لأن تصنع ذلك ملايين المرات.. ولو بلغ بهم العناد والمكابرة حدا يقولون معه بجواز ذلك.

ان في هذين المثالين دلالة قاطعة على بطلان دعوى المصادفة التي طالما لجأ اليها الملحدون وتستروا وراءها اذا سئلوا عن خالق هذا الكون ومبدعه.. ولنذكر نماذج من اقوال العلماء ـ علماء الطبيعة والكيمياء والاحياء وغيرهم ـ الذين وصل بهم العلم التجريبي الى الاقرار بوجود الله عز وجل.. فمن ذلك قول الدكتور «جون وليام كلونس» :

المصدر ـ تناقض المذاهب المادية فيما يتصل بقضية الالوهية ص ٢٣ للدكتور محمد بلتاجى ـ

(ان هذا العالم الذى نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال ان يكون قد نشأ بمحض المصادفة ، أنه مليء بالروائع والامور المعقدة التي تحتاج الى مدبر والتي لا يمكن نسبتها الى قدر اعمى. ولا شك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده»

وقال الدكتور (توماس دافين باركس):

«انني اقرأ النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوى ولا استطيع ان اسلم بأن يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتآلف بهذه الصورة العجيبة ان هذا التصميم يحتاج الى مبدع ونحن نطلق على هذا المبدع اسم (الله).

وقال العالم البيلوجي (لوكنز سيل هامان):

«ان نظرة واحدة إلى أحدى الخرائط التي تبين التفاعلات الدائرية العديدة وما يدور حول كل منها والآخر من متفاعلات اخرى كفيلة بان تقنع الانسان بان مثل هذه العلاقات لا يمكن أن تتم بمحض المصادفة . ولعل هذا الميدان يهيئ للانسان من العالم مالا يهيئه اى ميدان آخر بان الله يسير هذا الكون تبعا لسنن رسمها ودبرها عندما خلق الحياة»

ان أقوال هؤلاء العلماء وعشرات غيرهم من العلماء الذين توصلوا بطريق العلوم التجريبية والكشوفات العلمية الى الاقرار بوجود الخالق تدل دلالة قاطعة على استحالة الصدفة فى ايجاد الكون.

المرجع / الاشارات والتنبيهات لابن سيناء جزء (١) ص ٦٧.

المصدر: الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٦ .

حدوث الكائنات برهان قاطع على وجود الخالق

اننا اذا تأملنا هذا الكون العظيم المحيط بنا ونظرنا في جزئياته التي لا تنفك تحدث شيئا فشيئا ادركنا ان لوجوده مبدأ . اذن فلابد له من محدث لانه يستحيل عقلا ان يكون أحدث نفسه أو أن يكون حدث من غير محدث . كما أشار القرآن الى ذلك: «ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون» سورة الطور.

ومن البراهين العقلية على حدوث العالم انه ليس ازليا ، فهذه التغيرات التى تحدث في هذه الموجودات الكونية سواء منها الموجودات المادية المدركه بالحس أو الموجودات الاخرى الخارجة عن نطاق الادراك الحسي والتي نستنتج وجودها ببرهان العقل فنلاحظ ان حوادث التغير لا تنفك عنها ابدا ، فما من شيء في هذا الكون الفسيح الاّ ونلاحظ أنه في أوضاع من التغيرات الكثيرة بشكل مستمر.

فهذه التحاويل الكونية في المواد الكيميائية حوادث مستمرة وهذه الاعراض في الظواهر الفيزيائية في تغير مستمر. نري في ذلك تحول البذور الى اشجار وثمار ثم تحولها إلى رماد أو هشيم يتفتت إلى عناصره الكيميائية والفيزيائية البسيطة أو المركبة.

ونرى ذلك في تحول الأغذية الى دماء في الاحياء ثم إلى نطف ثم إلى احياء اخرى لها وحدات مستقلة في صفاتها واعراضها وخصائصها واعمارها وطباعها الى غير ذلك من التغيرات الكثيرة التى لا تتناها استقصاء وحصرا.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطريقة اعني طريقة الاستدلال بالتغير على الحدوث في آيات تنير الأفكار وتنبهها بطريق غير مباشر الا ان فكرة (التغير) تتنافى مع فكرة الازلية لان التغير يتضمن حدوثا متتابعا ينبه الى ان لديه بداية كما ورد ذلك في

قول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ

المصدر / العقيدة الاسلامية واسسها للميدانى جزء ١ ص ١٣٦.

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ
هَـٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَـٰذَا
رَبِّي هَـٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَـٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾)

(سورة الأنعام الآية ٧٥ ـ ٧٩)

ولقد أيدت العلوم التجريبية الحديثة النظريات العقلية القائلة بحدوث هذا العالم فكشف عن قوانين هامة لا تدع للشك مجالا في أن هذا العالم وجد بعد أن لم يكن وان له محدثا احدثه هو الله سبحانه وتعالى ومن بين تلك القوانين «القانون الثانى للحرارة الديناميكية ويسمى هذا القانون الطاقة المتاحة أو (ضابط التغير) وهذا القانون يثبت ان الطاقة في الكون تقل تدريجيا بصورة مطردة حيث تنتقل الحرارة فيه دائما من ـ وجود حرارى الى وجود حرارى اقل مع استحالة ان يحدث العكس فتزيد الطاقة المتاحة في الكون لانها تنتقل من وجود إلى وجود اقل بصورة تدريجية مطردة.

لكن كيف يثبت هذا الكشف حدوث الكون المادى القضيبة ببساطة هي أن هذا القانون يثبت ان الكون المادى لابد أن ينتهى الى نوع من الخمود والفناء يتوقف فيه نشاطه المعتاد

وتختل الوظائف الطبيعية فيه وذلك حين تنفذ الطاقة التي يفقدها تدريجيا بحكم استمرار العمليات الكيميائية والطبيعية فيه. وهذا يثبت قطعا وضرورة ان لهذا الكون بداية اذ لو كان ازليا لفقد طاقته من وقت بعيد جدا لان الازل لا نهاية له فمهما قدرت عظمة الطاقة فانها تتلاشى في الازل اللانهائي.

ما يجب لله من صفات الكمال

بعد أن ثبت بشكل قاطع لا يدع مجالا للشك في ان الله موجود وأن وجوده واجب فاني سأبين ما يجب له سبحانه وتعالى من صفات الكمال وما يجب تنزيهه عنه من صفات النقص والعيب.

ان الطريقة الصحيحة التي يجب ان يسار عليها في صفات الله اثباتا ونفيا هي ان يثبت له من صفات الكمال اثباتا مفصلا وينفى عنه كل نقص وعيب نفيا مجملا.

كقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)

وهذه الطريقة هي التي سار على نهجها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم باحسان ومازالوا كذلك الى أن حدث الاختلاف في عقيدة المسلمين بسبب أعداء الإسلام الذين انضموا إلى صفوف المسلمين يظهرون الرغبة في الإسلام ويبطنون الكيد له ولأهله فافترق المسلمون واختلفوا في العقيدة كما قال صلى الله عليه وسلم:

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة. قيل: من هم يا رسول الله ؟ قال: هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى .

المصدر ـ تناقض المذاهب الماديه فيا يتصل بقضية الالوهية ص ٢٣ للدكتور محمد بلتاجى ـ

منهج السلف في اسماء الله وصفاته

لقد سار السلف في اسماء الله وصفاته على منهج القرآن في ذلك فوقفوا مع نصوص الكتاب والسنة في الاسماء والصفات فما اثبته الله لنفسه في كتابه أو اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم فانهم يثبتونه ويؤمنون به ولا فرق عندهم في ذلك بين الصفات الذاتية كالعلم والقدرة والصفات الفعلية كالغضب والرضا يثبتون الجميع اثباتا خاليا من التشبيه كما ينزهون الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب تنزيها لا يصل الى حد التعطيل وفقا لقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشورى. يثبتون اثباتا مفصلا وينفون نفيا مجملا .. ومعنى الاثبات المفصل والنفى المجمل الا يثبت لله من الصفات الا ماورد به النص.. اما النفى فاننا نجمل فيه ونقول: كل نقص أو عيب فالله منزه عنه اما المخالفون لمنهج السلف منهم فرق عديدة اكبرها :

إ) الجهيمة

ب) المعتزلة

جـ) الاشاعرة والكلابية والماتريدية

د) المشبهة.

الجهميــة

الجهمية اتباع الجهم بن صفوان السمرقندى والجعد بن درهم. وهؤلاء قوم نفوا عن الله سبحانه وتعالى جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا وقالوا لا يوصف الله بصفة يوصف بها المخلوق، ولا يسمى باسم يسمى به المخلوق مطلقا فجردوه تعالى عن اسمائه الحسنى وعطلوه عن صفات الكمال وشبهتهم في ذلك التنزيه فانهم يقولون لو اثبتنا لله صفة يوصف بمثلها المخلوق للزم ان يكون الله مشابها للمخلوقين فهم عطلوا الصفات خوفا من التشبيه يزعمهم.

ونقول لهم عند نقض هذه الشبهة اما أن تثبتوا لله صفة الوجود واما ان تنفوها عنه، وعلى كلا التقديرين فانتم محجوجون لانكم ان نفيتم صفة الوجود كفرتم وان اثبتم صفة الوجود قيل

لكم : المخلوق يوصف بالوجود فان قلتم وجود الله ليس كوجود المخلوق بل هو وجود يخصه ويليق بجلاله قيل لكم وكذلك الصفات الاخرى التى نفيتموها ليست كصفات المخلوقين بل هي صفات تخصه وتليق به. كالغضب والرضا والنزول والاستواء وغيرها من الصفات الفعلية والذاتية التى جحدتموها وعطلتم البارى منها.

المعتزلــــة

المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد وسموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان من تلامذة الحسن البصرى وكان يوما في حلقته فسأل أحد الحاضرين عن حكم مرتكب الكبيرة هل يخرج من الايمان بمجرد ارتكابه الكبيرة ؟ وقبل ان يجيب الحسن عن هذا السؤال سارع واصل بن عطاء فقال: انا أقول مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ثم اعتزل الحلقة وجلس الى سارية من سوارى المسجد يشرح هذه القاعدة ويبين للحاضرين اصولها فقال له الحسن (اعتزلت حلقتنا) فسمى واصل واصحابه المعتزلة.

ورأى المعتزلة في الصفات كرأى الجهمية (التعطيل) ينفون عن الله كل صفة من صفات الكمال، إلاّ انهم يختلفون مع الجهمية في مسألة الأسماء الحسنى، فان الجهمية ينفونها والمعتزلة يثبتونها ولكن يجعلونها اعلاما مترادفة لا تدل على شيء أكثر من الذات فالعليم لا يدل على العلم والرحيم لا يدل على الرحمة والمريد لا يدل على الارادة وهكذا كل اسم اثبتوه لله فانه لا يدل إلا على ذات الله فقط. وشبهة المعتزلة فى نفي الصفات التنزيه أيضا كشبهة الجهمية إلا أنهم يختلفون معهم فى طريقة الاستدلال، فالمعتزلة يستدلون على نفي الصفات بقولهم انه يلزم من اثبات الصفات لله أن يكون جسما لأن الصفات اعراض والاعراض لا تقوم الا بالجسم. والأجسام متماثلة لأن جواهرها التي ركبت منها متماثلة قبل التركيب.

ونقول لهم عند نقض هذه الشبهة:

١ ـ لا نسلم ان الصفات اعراض حتى يلزم منها الجسم.

٢ ـ وإذا سلمنا ان الصفات اعراض فلا نسلم ان الأجسام متماثلة لوجود الفرق الكبير بين جسم الذرة وجسم الفيل مثلا. وكل منهما يسمى جسما علما بأن مسألة الجسم عند السلف لا يجوز اطلاق القول فيها لا نفيا ولا اثباتا لان الصفات توقيفية ولم يرد في القرآن ولا في السنة اثبات للجسم ولا نفيه.

وبعض المعتزلة يسلكون طريقا آخر في الاستدلال على نفي الصفات ويقولون ان اخص أوصاف الله القدم ولو اثبتنا له صفات قديمة لزم ذلك تعدد القدماء وهو شرك بالله في القدم فنفوا عنه الصفات لهذا المعنى ويرد عليهم فيقال ان صفات الله تعالى صفات قائمة بذاته ليست منفصلة عنه ولا بائنة منه حتى يلزم التعدد فهو سبحانه وتعالى واحد بذاته موصوف بصفات الكمال قديم وما سواه محدث.

الاشاعرة والكلابية والماتريدية

الاشاعرة قوم ينتسبون الى ابي الحسن علي بن اسماعيل الأشعرى ويزعمون انهم على مذهبه في الصفات. والواقع انهم مخطئون في هذا الزعم لان مذهب الأشعرى الأول هو مذهب المعتزلة . ومذهبه الأخير مذهب السلف ومذهب الأشاعرة في الصفات مخالف لمذهب المعتزلة لانهم يثبتون بعض الصفات والمعتزلة لا يثبتون شيئا منها. ومخالف لمذهب السلف حيث ان السلف يثبتون لله جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة والاشاعرة لا يثبتون الا بعضها وانت بهذا ترى ان الاشاعرة اقرب الى رأى الجهمية منهم الى رأى السلف وحقيقة مذهبهم في الصفات انهم يثبتون لله صفات الذات وهي العلم والارادة والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام. وينفون عنه صفات الفعل كالغضب والرضا والاستواء وبعضهم يثبت صفات زائدة على هذه السبع. وشبهتهم فى ذلك أن الصفات الفعلية حادثة.. والله سبحانه وتعالى منزه عن الحوادث.

والرد عليهم ان يقال: ان الصفات الفعلية وان كانت تحدث آحادها فجنسها قديم فهي

قديمة النوع حادثة الاحاد. فايضا فلو قالوا مثلا أن الغضب غليان دم القلب فكيف يوصف الله به قيل لهم انتم تثبتون الارادة لله ومعلوم ان الارادة ميل القلب الى المراد فكيف تثبتونها لله.. فلابد أن يقولوا ان الارادة التي تفسر بميل القلب هي ارادة المخلوقين . اما ارادة الله فانها تخصه وتليق به ، قيل لهم وكذلك الغضب الذى يفسر بغليان دم القلب هو غضب المخلوقين .. اما غضب الله فانه يخصه ويليق به وهكذا يقال في جميع الصفات الفعلية التي تنفونها.

اما الكلابية اتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب والماتريدية أتباع ابى منصور الماتريدى فمذهبهم في الصفات مماثل لمذهب الاشاعرة لا يختلف عنه الاّ في مسائل قليلة جدا.

المرجع / التدمريه لشيخ الاسلام ابن تيميه.

المشبهــة

المشبهة اتباع هشام بن الحكم الرافضي وداود الجواربى وغيرهما . وهؤلاء قوم اثبتوا لله الصفات ولكن غلوا في الاثبات حتى مثلوا الله بخلقه فقالوا - ان صفات الله الواردة في القرآن الكريم والسنة تماثل صفاتنا من كل وجه وقالوا : ان الله جسم مركب له طول وعرض واعضاء وابعاض تماثل اعضاءنا وابعاضنا. تعالى الله وتقدس عن قولهم علوا كبيرا وهؤلاء كفار خارجون عن الاسلام وقد استدلوا على مذهبهم الفاسد بمطلق الاثبات الذى تضمنته آيات الصفات واحاديثها.

ويرد عليهم بنصوص النفي التي تضمنت تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين كقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى

وكقوله : (ولم يكن له كفوا احدا) الاخلاص . وقوله (هل تعلم له سميا) مريم .

وغير ذلك كثير في القرآن مما يدل على نفي مشابهة المخلوقين أو مماثلتهم بشيء من صفاته سبحانه وتعالى .

التدمريه : لشيخ الاسلام بن تيميه.